أيها السوريون: احذروا الدمناء

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

في كتاب (**كليلة ودمنة**) لعبد الله بن المقفع، والذي ترجمه عن الحكيم الهندي (**بيدبا**)، تدور المقدمة حول أربع شخصيات رئيسة، أولها الأسد الملك صاحب القوة والغلبة والسلطان، سيد الغابة الذي تأتمر بأمره السباع، أما ثانيها فهو الثور (**شتربه**) صاحب الرأي والعقل والخلق والنبل والأمانة، كما تتناول المقدمة أخوين من بني آوى، حيث (**كليلة**) الطيب والناصح لأخيه دوماً، و(**دمنة**) الأشر نفساً وجامع الصفات الردية. لقد صادق الأسد الملك الثور الحكيم أي صداقة فقربه منه وائتمنه على أسراره حتى وقع ذلك في نفس (**دمنة**) الذي قرر -ورغم نصح أخيه كليلة بالعدول عن أفكاره الشيطانية- أن يوقع بينهما بمكره وخبثه، فانتهى الأمر بالأسد الغضوب والذي أنيابه تسبق عقله أن يقتل الثور (**شتربه**) وحكمته التي لايجد مثلها في مملكته، وماهي إلا أيام حتى ندم على فعلته، وزاد ندمه عندما اكتشف في نهاية القصة كيف ضحك عليه (**دمنة**) وأفقده العقل الذي يحمله (**شتربه**). أما (**كليلة**) فقد غادر أخوه (**دمنة**) نزولاً عند حكمة العقلاء: (**اجتنبوا أصحاب الفجور وإن كانوا أصحاب قرابتك، فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً وإذا مرت على الطيب حملت طيباً**).

رحم الله ابن المقفع وماأحوجنا إلى كتاب الحكمة الذي ترجمه لنا في أيامنا هذه، والتي استطاع فيها دمناء (**جمع دمنة**) هذا العصر أن يخرجوا آلة الفتك لتقتل عقولنا ونصبح على مافعلنا نادمين كندم أسد ابن المقفع على قتل حكيمه. وأحب أن أقول أن دمناء اليوم ليسوا كدمنة ابن المقفع بل هم أقل ذكاء منه بكثير ولكنهم يفوقونه شراً.

ياأحفاد سلطان باشا الأطرش: احذروا دمناءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

ياأحفاد الشيخ رمضان شلاش: احذروا دمناءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

ياأحفاد يوسف العظمة وسعيد العاص وأحمد مريود: احذروا دماءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

ياأحفاد صالح العلي وعزيز هواش: احذروا دماءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

ياأحفاد فارس الخوري: احذروا دماءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

ياأحفاد ابراهيم هنانو وعبد الرحمن الشهبندر: احذروا دماءكم ألا تقتلوا العقل فيكم.

عندما قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وصلبه على باب مكة، مرت به أمه أسماء بنت أبي بكر لتقول (**أما آن لهذا الفارس أن يترجل**)، وأنا أقول أما آن لهذا العقل الذي صلبتموه على باب عصبياتكم القاتلة أن يترجل.

لئن صنعت إحدى العصبيات في زمن الأسد قاتلاً اسمه (**أمجد يوسف**) ليكتب تاريخه من خلال حفرة (**التضامن**)، فإن عصبياتكم القاتلة اليوم صنعت قاتلاً آخر اسمه (**أبو الميش**) يتجول بحرية في سوريا ليصنع باسمكم عدة حفر (**تضامن**).

يؤرخ عبد الرحمن الشهبندر للثورة السورية في مذكراته لمعارك كالمزرعة والمسيفرة والتي كانت بقوة درزية خالصة بقيادة سلطان باشا، ويتابع الشهبندر كيف أن قوى درزية رافقت جميع معارك الثورة السورية على اتساع جغرافيتها فدخل 100 درزياً من أصل 400 مقاتل (25٪ **دروز، وهذا أكبر بكثير من نسبة الدروز في سوريا**) إلى دمشق تحت قيادة الأمير نسيب البكري، وكذلك كانت قوة من 80 درزياً في يلدا وببيلا، وكذلك الأمر في النبك واللجاة في حوران. لقد حمل الدروز دماءهم إلى سوريا واليوم لاتقبل العصبيات القاتلة أن تحمل لهم الماء وتدوس على صور سلطان باشا الأطرش.

إن رفضكم للعصبيات القاتلة اليوم لايتم إلا أن تحملوا الماء بأيديكم للسويداء، **كشعب ومجتمع أهلي لا كسلطة وعصبية**، وبهذا وحده تستعيدون وصف سلطان باشا الأطرش لكم في بيانه لقيام الثورة: (**يا أحفاد العرب الأمجاد**).

لقد قال محمود درويش في إحدى روائعه يوماً: (**أيها المارون بين الكلمات العابرة، احملوا أسماءكم وانصرفوا، كدسوا أوهامكم في حفرة مهجورة، وانصرفوا، آن أن تنصرفوا**)، أما نحن فنقول لهؤلاء المارون: (**احملوا عصبياتكم القاتلة وانصرفوا**).

إن البستان يصبح أجمل كلما تنوعت فيه الورود، وإن وردة وحيدة بلون مختلف عن جميع ورود البستان تجعله أحلى، فلنحافظ على ورود سوريا الجميلة بألوانها المختلفة ولنقتلع من بستانها الذي يحتضن الجميع شوك دمناء العصبيات القاتلة.

مكتبة حسين بطيخة الإلكترونية